
سلسلة تفريغات شبكة بينونة
نصيحة لمن بلغ الأربعين
الشيخ
د. هشام بن خليل الحوسني
من هنا باقي التفريغات
قام به فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية
@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net



يسر شبكة بينونة للعلوم الشرعية

أن تقدم لكم تفريغًا لمحاضرة

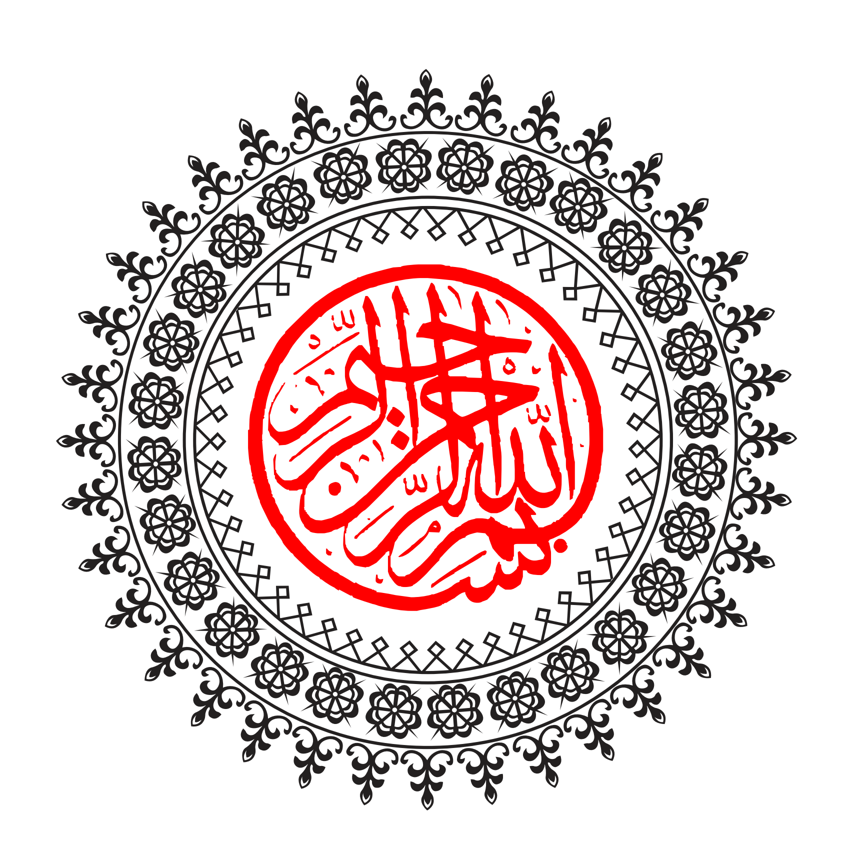
بعنوان

# نصيحة لمن بلغ الأربعين

للشّيْخ

د. هشام بن خليل الحوسني

حفظه الله


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله و صحبه وسلم تسليما كثيرا

ثم أما بعد:

فإن الإنسان يمر بمراحلَ في حياته منذ الطفولة إلى الشباب، ثم الكهولة فالشيخوخة، قال الله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩] أي: أطوارًا متعددة وأحوالًا متباينة، من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى نفخ الروح ثم تكون وليدًا طفلًا، ثم مميِّزًا، ثم يجري عليه قلم التكليف، والأمر والنهي ثم يموت بعد ذلك، ثم يبعث ويجازى بأعماله، فهذه الطبقات المختلفة الجاريةُ على العبد دالة على أن الله وحده المعبود الموحد ، المدبِّر لعباده بحكمته ورحمته، وأن العبد فقير عاجز تحت تدبير العزيز الرحيم، فمراحل حياة الإنسان – معاشرَ الأفاضل– مراحل متعددة ومتنوعة، لكنها تبدأ بالاكتمال في عشر الثلاثين حتى تصل إلى ذروتها في سن الأربعين، فهي السن التي يكون بها بلوغ الرشد، كمال العقل، وتمام الإدراك.

قال الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: ١٥] الآية، ففي الأربعين يتناهى العقلُ، وما قبل ذلك وما بعده منتقِص عنه.

قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**أدركت أهل العلم ببلدنا وهم يطلبون الدنيا والعلم ويخالطون الناس حتى إذا أتى أحدهم أربعين سنة مضت عليه؛ اعتزلوا الناس، واشتغلوا**

بالقيامة حتى يأتيهم الموت»[(١)].

لذلك معاشر الأفاضل جاء تمييز هذا السن في كتاب الله ﷻ قال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥]، بدأت هذه الآية الكريمة ببيان لطف الله بعباده، وشكره للوالدين أن وصّى الأولاد وعهِد إليهم أن يحسنوا إلى والديهم بالقول اللطيف والكلام اللين، وبذل المال والنفقة وغير ذلك من وجوه الإحسان، ثم نبّه ﷻ على ذكر السبب الموجِب لذلك؛ فذكر ما تحملته الأم من ولدها وما قاسته من المكاره وقت حملها، ثم مشقة ولادتها المشقة الكبيرة، ثم مشقة الرضاع وخدمة الحضانة، ولم يحصل هذا كله في مدة يسيرة، وإنما حدث ذلك في مدة كبيرة قدرها ثلاثون شهرًا كما قال الله ﷻ، فهذه الآيات الكريمات أشارت إلى مسألة هامة؛ وهي مسألة ما يتعلق بهذا الإنسان ومروره بهذه الفترة من العمر وبهذه المراحل، ثم أشارت هذه الآية إلى أمر هام وهو أنه إذا بلغ أشدّه وبلغ أربعين سنة فنبّه الله ﷻ في هذه الآية أنه على الإنسان إذا بلغ هذا العمر أن ينتبه لأمور ذكرها الله ﷻ في كتابه الكريم.

قال الله ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ [الأحقاف: ١٥]، فعلى المسلم إذا بلغ هذا العمر وهذه الفترة من العمر وهي اكتمال العقل، وتمام الإدراك ونحو ذلك؛ أن يشكر الله ﷻ على نعمه التي أنعمها عليه وعلى والديه، و يعترف بالفضل للمنعم ﷻ، ويسدي المعروف للمتفضّل به ﷻ، والنعم على الوالدين نعم على أولادهم وذرياتهم؛ لأنهم لا بد أن ينالهم منها ومن أسبابها وآثارها خصوصًا نعمة الدِّين.

فإن صلاح الوالدين بالعلم والعمل من أعظم الأسباب لصلاح أولادهم، قال القرطبي

(١) نقله القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٥٣)، ط. دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية.

رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذكر ﷺ أن مَن بلغ الأربعين فقد آن له أن يعلم مقدار نعم الله عليه وعلى والديه ويشكرها»(١). انتهى كلامه.

ومِن نعمِهِ عليك أيها الأخ الفاضل وأيتها الأخت الفاضلة أن مد في عمرك إلى أن بلغت الأربعين ليكتمل فيها عقلك، وتنضج فيها نفسك، وتتطلع للدنيا بعين بصيرة وتؤدة؛ ينظر المسلم فيها فيما حوله؛ فيرى أناسًا قد باغتهم الموت وهم أبناء العشرين والثلاثين، وأدركهم الموت ولا تزال خططهم في الحياة لم تكتمل، وأحلامهم التي منّوا بها أنفسهم لم تنقضي فيدرك عظيم نعمة الله عليه أن وفقه لبلوغ هذا السن حتى يعلم حقيقة هذه الدنيا، وهل تستحق منه كل هذا العناء والسعي والركض والكدّ فيها على حساب آخرته، وما أعدّ الله فيها للمتقين ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]، فالدار الآخرة جعلها الله لمن إرادتهم مصروفة إليه سبحانه وقصدهم الدار الآخرة، حالهم التواضع لعباد الله، والانقياد للحق، والعمل الصالح، فهؤلاء هم المتقون الذين لهم العاقبة: وهي حالة الفلاح والنجاح التي تستقر وتستمر لمن اتقى الله ﷻ، وأمّا غيرهم فهو وإن حصل له بعض الظهور والراحة فإنه لا يطول وقته، وسرعان ما يزول، لذلك نبّه الله عباده في هذه الآية أن مَن أدرك هذا السن فإن عليه أن يشكر نعمة الله ﷻ عليه وعلى والديه، وفي هذه الآية إشارة إلى أمر هام جدًا ينبغي على المسلم والمسلمة أن ينتبها له وهي مسألة طاعة الوالدين.

ولا شك أن في عقوق الوالدين أثم عظيم، ونكران للمعروف والجميل، لذلك قدّمت هذه الآيات بتلك المقدمة الجميلة البديعة التي فيها بيان حقوق هذين الوالدين عليكَ أيّها المسلم وعليكِ أيتها المسلمة، عقبت هذه المسألة بمسألة شكر الوالدين اللذين هما سببًا في وجودك أيّها المسلم وأيتها المسلمة، فعلى المسلم أن يعرف لأهل المعروف معروفهم، ولا يتنكر للوالدين ﷺ لا سيما وهما اللذان لهما الفضل العظيم عليه بعد فضل الله.

---

(١) المصدر السابق (٧/ ٢٧٦).

فعلى الأولاد سواءً كانوا رجالًا ونساءً أن يعرفوا هذا المعروف لوالديهم، ويعترفوا لهم بهذا الفضل، ويكونوا بارين بهم مطيعين لهم حريصين على ما فيه الخير لهم، قال الله ﷻ: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[لقمان: ١٤]، فيدعو لنفسه، ويدعو لوالديه، وكذلك يدعو الله ﷻ أن يبارك له في هذه النعمة؛ وهي نعمة هاذين الوالدين فإن كانا على قيد الحياة فليُكثر من برهما، وطاعتهما، والتودد لهما، وخفض الجناح لهما، وإن كانا ميتين فليُكثر الدعاء لهما، والصدقة عنهما، والإحسان إلى مَن كانا يحبانه أو من كان تربطهم بهما صلة، فلذلك على الأولاد أن يراعوا هذا الجانب أيّما مراعاة، لذلك قال الله ﷻ عن هذا الذي قد بلغ هذا السن: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ [الأحقاف: ١٥]، وهو يدعو لنفسه، وهو يدعو كذلك لوالديه اللذين لهما الفضل بعد الله عليه، وهذا فيه من تمام خُلق المسلم، ومِن كريم قوله وفعله أن لا ينسى أهل الفضل ولا ينسى أهل المعروف ولا سيّما إن كان والداه، اللذين لهم كما قلنا الفضل عليه، وعلى وجوده في هذه الدنيا، وهذا من تمام إسداء الفضل لأهله.

ثم انتقلت بعد ذلك الآيات إلى أمر ثان وهو قول الله ﷻ: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ [الأحقاف:١٥]، وهذا فيه إشارة وفيه تنبيه إلى أن المسلم إذا بلغ هذا السن وهو سن الأربعين أن يبادر إلى الطاعات، وعمل الصالحات، يحافظ على صلاته، ويحافظ على إقباله على ربه، ويحافظ على ذكره لله، وتلاوة كتابه الكريم؛ ففي الإقبال على كتاب الله انشراح للصدر، ونور للدرب، وتيسيرًا وتفريجًا لكثير من الهموم والغموم، فلذلك على المسلم أن يبادر إلى هذه الطاعات، والتأني في كل أمر خير إلا في أمر الآخرة، لذلك جاء الحث من الله لعباده إلى المسارعة في هذه الخيرات، المسابقة إلى المغفرة، يقول الله ﷻ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ويقول: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]، فالسابقون في هذه الدنيا إلى الخيرات هم السابقون يوم القيامة إلى الجنات.

فالمسلم عليه أن يبادر إلى هذه الطاعات ، يبادر الى مساعدة الناس، ونفعهم، يبادر إلى طاعة ربه، يبادر إلى ما فيه عون لخلق الله، إغاثة لملهوف، أو مساعدة لضعيف، أو إجابة لسؤال مَن سألك وأنت قادر على إجابته، فلذلك على المسلم أن يبادر إلى هذه الطاعات، فأنت لا تدري هل هذا الذي تفعله هو آخر عمل تقوم به في حياتك فيُختم لك به؛ فتنال الأجر العظيم عند الله، فلا تدري ما الذي يختم لك به، بادرْ وسارع إلى طاعة ربك، سواء في نفع نفسك أو في نفع غيرك، فالمسلم مبادر للطاعات، ومبادر في عمل الصالحات، متقرب إلى الله، كلما لاح له عمل من أعمال الخير سارعَ ولم يتوانَ ولم يتأخر ولم يتأفف من عمل الخيرات، بل بادر و سارع إلى عمل الصالحات، وهو راجٍ ثواب الله، وهو محسن للظن بالله، وأن هذا الذي قد قام به سيؤجره ربه عليه، سيثيبه عليه أعظم الثواب، لم يلتفت قلبه إلى الناس وإلى ما في أيدي النّاس؛ بل ألتفت قلبه إلى ما عند الله، فهو مقبل على ربه، نافع لنفسه، نافع لغيره، بعيدٌ عن الإضرار بغيره، بعيدٌ عن الإضرار بنفسه، ساعٍ في كل ما فيه خير للناس، مبادر لكل ما فيه هداية وصلاح وسعادة ونشر للسرور والبهجة في قلوب الناس، هكذا هو المؤمن، وهكذا هو يريد طاعة الله لا أن يقوم بما فيه مضرة له أو فيه مضرة لغيره من أعمال السوء والعياذ بالله، كما يقول البعض به ممن تُغريه نفسه وقد تأتي له الغفلة، وقد ينسيه الشيطان ذكر ربه؛ فيرتكب من الذنوب والمعاصي ما يقبح به أن يقوم به، فلذلك على المسلم لاسيما إن كان في هذا السن وهو سن الأربعين أن يتذكر أعماله هذه الصالحة إنما تُقرّبه من ربه؛ فيبادر إليها، ويُكثر منها، ويسارع إليها، وأن الأعمال التي هي فيها من السوء والشر ومن الإضرار بالناس من غيبة ونميمة أو كذب أو افتراء أو غير ذلك الذي يلاقي به عباد الله، إنما يكون فيه الضرر عليه ويقبح به أن يسارع في مثل هذه الأمور وهو يعلم أنه قد بلغ هذا السن الذي ينبغي عليه أن يكون أشدّ ترويًا وأشدّ إقبالًا على الله، وأشدّ إعراضًا عن المعاصي، وأشدّ إقبالًا على الطاعات، وعلى ما يرضي الرحمن؛ فينتبه لنفسه، ويُكثر من الطاعات، ويقلل من كلامه خاصة الكلام الذي ليس فيه خير له، خاصة ما يعود عليه بالسوء وبالضرر وبالإثم الكبير عند الله، وليكف عليه لسانه، وليمسك عليه هذا اللسان فلا يرتكب

به ما يغضب الله، بل لا يقول به إلا خيرًا، ولا يتكلم ولا يفعل إلا ما فيه خير ونفع لنفسه ونفع لغيره، ويجتنب ويحذر الغفلة، وينظر إلى مفاتن هذه الدُّنيا بنظرة العاقل الذي لا يغتر بزخارفها.

قال ﷺ: «**إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»(١). فالمسلم يبتعد عن هذه الأمور التي فيها فتن له ، وفيها تضييع لدينه، وفيها خدش لإيمانه، وفيها ضرر على دينه، فلذلك على المسلم أن يبتعد عن هذه الأمور، ولا يغفل عن ذكر الله، وليرقق هذا القلب، وليربطه بذكر الله، وبقراءة كتاب الله، يُقبل على ربّه، يُكثر من دعاءه في سجوده، وفي صلاته، يكثر من الدعاء لربه بأن يصلح له قلبه، وأن يثبته على هذا الدين، ويوفقه للخيرات، ويعينه على الطاعات، يتودد إلى ربه، يكثر من التضرع والخضوع والإقبال على الله يصدق في دعاءه، ومَن صدق مع الله صدق الله معه، يتوب إلى ربّه، يقبل على ربّه، لاسيّما في أوقات الإجابة؛ في الثلث الأخير من الليل، وفي سجوده، وبين الآذان والإقامة، وفي آخر يوم الجمعة ونحوه من الأوقات التي يستجاب فيها الدعاء، فيقبل على ربه يدعوه دعاء من يرجو ثوابه، ويخاف عقابه، يدعو ربّه، ويتضرع إليه، ويقبل بقلبه على الله، يصدق مع ربه، ويحسن الظن به، يطلب من ربه أن يثبّت له هذا القلب، وأن يصلحه، وأن يبارك له فيه، وأن يرزقه العلم النافع ويباعده ويجانبه عن المعاصي والغفلة، وعن الشرور والآثام، يدعو لنفسه، يدعو كذلك للمسلمين أن يصلح الله أحوالهم ويعينهم، فلذلك على المسلم أن يقبل على ربه، ويبادر إلى الطاعات، ويبادر إلى الأعمال الصالحة.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٣٨)، وأبو داود (٤٣٤٤) مختصراً، والترمذي (٢١٧٤، ٢١٩١) مفرقًا، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٧٣٥، ٩٢٦٩) مفرقًا مختصراً، وابن ماجه (٢٨٧٣، ٤٠٠٠، ٤٠٠٧، ٤٠١١) مفرقًا مختصراً باختلاف يسير، وأحمد (١١٥٨٧).

النبي ﷺ قال ذات يومٍ لأصحابه: «مَن أصبح منكم اليوم صائمًا؟»، قال أبو بكر: أنا، قال: «فمَن تَبِعَ منكم اليوم جنازة؟»، قال أبو بكر: أنا، قال: «فمَن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟»، قال أبو بكر: أنا، قال: «فمَن عاد منكم اليوم مريضًا؟»، قال أبو بكر: أنا، فقال ﷺ: «ما اجتمعْنَ في امرئ إلا دخل الجنَّة»(١)، صدق نبينا ﷺ.

وهكذا حال صحابة النبي ﷺ، هكذا كانوا رضي الله عنهم مبادرين إلى الطاعات، مبادرين ومسارعين إلى الخيرات والأعمال الصالحة، فرفعهم الله سبحانه وتعالى، ورفع ذكرهم في هذه الدنيا، ورفعهم عنده منازل في جنات النعيم، نسأل الله أن يرضى عنهم، ويرفع درجاتهم في عليين، ويجزيهم عنّا خير الجزاء.

الأمر الثالث الذي جاء في هذه الآية الكريمة :﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾ [الأحقاف: ١٥]، في هذه الآية وفي هذا القول دعاء من المسلم بصلاح ذريته، وصلاح الذرية وصلاح الأبناء إنما يكون بتعليمهم شرع الله، وتحفيظهم لكتاب الله، وتنشئتهم على محبّة السنّة، ومعرفة صحابته الكرام، وتعليمهم ما تصح به صلاتهم وصيامهم وسائر عبادتهم، وهكذا المسلم عليه أن يهتم بصلاح ذريته، صلاح أبناءه، صلاح بناته، لابد أن يسعى في هذا الأمر جاهدًا، لابد أن يبادر بتربيتهم وتنشئتهم التنشئة الطيبة، التنشئة الإيمانية، ويكثر من الدعاء لهم، يدعو الله أن يصلح أحوالهم، وأن ينبتهم النبات الحسن، يبذل ما في وسعه، يبذل الأسباب؛ فيتقرب منهم ويلاطفهم، ويكلمهم بكلام طيب هيّن، ولا يكون كلامه فيه العنف والغلظة والشدة والقسوة، ما كان الرفق في شيء إلا زانه، واستخدام الحزم إنما يكون في أوقات يحتاج الطفل فيها إلى حزم، أما بشكل عام فإنما يكون الرفق هو الذي يسود البيت، وإذا دخل الرفق إلى البيت فإنما دخل عليهم الخير، فلذلك المسلم عليه أن يكون رفيقًا بأهله بأبنائه، حريصًا على تعليمهم وغرس الخير فيهم، مستخدمًا للحزم والشدة في موضعها الصحيح، وليس في كل ما يعرض له في تعليمه لهم، بل إنما تعليمه لهم إنما يكون بالرفق

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٢٨).

وبالكلام الهيّن اللين الذي يكون فيه تحبيبٌ لهم في هذا الدين وفيه نفع لهم، وفيه جذب لقلوبهم حتى يقبلوا على كلامك، ويستمعوا له، ويحبوا ما تطرحه لهم، وكذلك أنت أيتها الفاضلة إذا أردت من أبنائك أن يتقربوا منك، وأن يستمعوا لكلامك؛ فكوني كذلك رفيقة بهم، حريصة على زرع الخير فيهم، مستخدمة للشدة والحزم في موضعها، ولذلك على المسلم أن يوازن بين هذه الأمور وهي استخدام الرفق واستخدام الشدة فلا يضيع أحدهما، ولا يستخدم هذا على حسب ذاك، بل يكون متوازنًا في استخدامه لهذه الأمور، ويسأل الله أن يوفقه أولًا وآخرًا في تربية هؤلاء الأجيال وهؤلاء الشباب وهؤلاء البنات، يسأل الله أن يوفقه في تربيتهم، وفي تنشئتهم التنشئة الإيمانية الطيبة، ولا بد أن نعلم أن صلاح الذرية إنما يكون بصلاح الأسرة واستقرارها، وهذا لا يكون طبعا مع استمرار الخلافات الأسرية بين الزوج وزوجته.

فكثير من الخلافات بل كثير من حالات الطلاق إنما تكون في هذه الفترة من العمر بعد الأربعين عاما، وهو ما يسمى عند أهل الاختصاص بالطلاق العاطفي، يكون فيه تبلّد وبرود في المشاعر بين الزوج وزوجته، وينتهي بهم الأمر إلى الطلاق، وهذا لا شك أن هذا من الأمور التي تعود على الأسرة ككل بالشر والتشرد، والتفرق بعد أن كانت أسرة مترابطة متماسكة، فعلى المسلم والمسلمة أن يتقوا الله في هؤلاء الأبناء وفي هذه الرابطة الزوجية التي قال الله عنها ووصفها بأنها ميثاق غليظ، فعلى المسلم وعلى المسلمة أن يتقوا الله في هذا الأمر، ويكونا عونًا لبعضهما ليتجاوزا هذه العقبات، إذْ كلما استقرت الأسرة سهُل تعليم الأبناء وإصلاحهم، فعليك أيها الزوج الكريم وأيتها الزوجة الفاضلة أن تتعاونا على تربية أبنائكما وغرس القيم النبيلة فيهم، وتنشئتهم التنشئة الإسلامية الجميلة، فكونا أنتما خير مثال، وخير قدوة يقتدي بكم أبنائكم، فكونوا العنوان الذي إذا أراد هؤلاء الأبناء والبنات أن يذكروا الأخلاق الفاضلة، ويذكروا الأخلاق النبيلة، ويذكروا حسن الكلام وحسن التصرف، إنما يتذكرون أباهم وأمَّاهم ، لا تكونوا أنتم ممن قد يشوه عليهم حياتهم ويؤدي بهم إلى ما يكون فيه ضرر عليهم، فلذلك كونا أنتما المصدر الذي يشعران به بالحنان

وبالعاطفة، وبالطمأنينة، والراحة، وعليكما بالرجوع إلى الله، والاستغفار، والإقلاع عن الذنوب، والإقبال على الله، وكثرة الاستغفار والدعاء لهؤلاء الأبناء والبنات بأن يصلحهم الله ويهديهم سواء السبيل.

ثم جاء في الآيات مسألة أخرى وهي قوله عزوجل : ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأحقاف: ١٥]، وهذا فيه المبادرة إلى التوبة ولاسيما في هذا السن وهو سن الأربعين، قال مسروق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله»[(١)]، فالعمل السيئ في هذا السن من أقبح ما يكون من المسلم والمسلمة، جاء في قول النبي ﷺ أنه ذكر أن ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم وذكر منهم: « أُشَيْمِطٌ زانٍ وعائِلٌ مُستكْبِرٌ ، ورجلٌ جعلَ اللهَ بِضاعتَهُ لا يَشترِي إلّا بِيمينِه، ولا يَبيعُ إلّا بِيمينِهِ »[(٢)]، فذكر النبي ﷺ أشيمطٌ زان وهو الرجل الكبير في السن الذي يبادر إلى المعاصي وإلى السوء وإلى اقتراف الكبائر، فقبيح من المسلم في هذا السن أن يبادر إلى المعاصي، إذْ الواجب عليه أن يكون أكثر حرصًا على الطاعات، وأكثر حرصًا على الإقبال على الله، ملازمًا للاستغفار، ملازمًا للتوبة، ملازمًا لذكر الله، يقول الله ﷻ: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣].

فلذلك على المسلم أن يبتعد عن هذه الأمور، وهذه الكبائر وهذه الذنوب ، التي تقبح به لاسيما وهو في هذا السن فهي قبيحة منه جدًا، وكذلك المرأة، أن يكون مقبلًا على المعاصي، مقبلاً على ما يغضب الله، إذ هو في هذا السن ينبغي على المسلم والمسلمة أن

---

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص: ٢٨٣)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى.

(٢)أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (٨٢١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٨٥٢) والألباني في صحيح الجامع (٣٠٧٢).

يكونوا أكثر إقبالًا على الله، وأكثر تأنٍ في أمورهم، وأكثر بصيرة في النظر في عواقب هذه الأمور وفي مغبتها، لذلك قال الله: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وقال أيضًا: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤]؛ فالمسلم إذا أدرك سعة مغفرة الله وسعة عفوه أقبل على ربه، فإذا أدرك ونظر إلى هذه الدنيا وحقيقتها وأن زخارفها وزينتها إنما هي زخارف زائلة، وزينة فانية، وما عند الله خير وأبقى، لم ينظر إلى هذه الدنيا بنظرة المعجب بها، فلذلك على المسلم والمسلمة أن يبادروا الى طاعة الله، وإذا صدر منهم ذنب، وإذا حصلت منهم خطيئة يقبلون على الله، ويرجعون ويتوبون، قال ﷺ: «**يقول الله تعالى: يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفِروني أغفر لكم**»[1]؛ فهذا نداء من ربكم، وطلب منه لك أيها المسلم لما فيه نفعك ولما فيه خيرك، والله غني عنك وعن عبادتك، ولكن هذا الأمر فيه نفع لك وفيه خير لك، وكذلك أيتها المسلمة، فأكثروا من الاستغفار، وأكثروا من الندم والتوبة إلى الله، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، فالله سبحانه دعا عباده إلى التوبة والإقلاع عن الذنب، والصدق في التوبة والندم، والعزم على ألّا يعودوا إلى هذه الأمور، فهذه هي التوبة النصوح، ونهاهم سبحانه عن القنوط من رحمة الله عزوجل، واليأس مهما عظمت الذنوب ومهما كثرت، فرحمة الله أوسع وعفوه أعظم، قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥]، فلابد على المسلم خاصة إذا بلغ هذا السن أن يبادر إلى التوبة إلى الإقبال على الله سبحانه وتعالى وطلب المغفرة منه والندم على ما فات بل لابد على المسلم والمسلمة أن يقبلوا على ربهم، ويبادروا بالأعمال الصالحة التي تمحو تلك السيئات والذنوب، والمعاصي والآثام.

قال الله ﷻ بعد ذلك: ﴿وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥]؛ في هذا القول إشارة إلى

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

الثبات على هذا الدين العظيم، والثبات على هذا الإسلام الذي أكرمنا الله به، وأنعم به علينا، قال ﷺ: «بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويُمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا»(١)، فعلى المسلم أن يبادر إلى الأعمال الصالحة، ويحذر أشد الحذر من انحراف القلب وموته وظلمته وفساده، وليكثر من الطاعة، وليكثر من قراءة كتاب الله، والتدبر في معاني هذه الآيات العظيمة، قال الله عن كتابه الكريم: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢]، فأكثر من تلاوة كتاب الله؛ و ترطيب هذا القلب، وإذابة ما فيه مما يكون عليه من الغشاوة، وجلاء ما يكون عليه من الذنوب، وما يتراكم عليه من الآثام، لا يكون ذلك إلا بالقرب من كتاب الله، وبالقرب من ذكر الله، والإكثار من الدعاء والتضرع لله، والاستغفار والتوبة والإنابة، فالقرآن يزيدك إيمانًا كما قال الله سبحانه: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]؛ فالمسلم عليه أن يقبل على ربه، ويبادر إلى العمل بما جاء في هذه الآية الكريمة؛ في قول الله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥]، فهذه الأمور أشارت إليها هذه الآية، فهذا الذي ينبغي عليك أيها المسلم إذا بلغت هذا السن أن تبادر إلى هذه الأعمال الصالحة، وتبادر إلى ما أرشدك الله به في هذه الآيات الكريمة، وإذا كان هذا مطلوبًا ممن بلغ الأربعين فمن باب أولى من بلغ الخمسين والستين!، قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن أقواما ألهتهم الأماني، أماني المغفرة ، حتى خرجوا من الدنيا و ليس لهم حسنة.. يقولون: نحن نحسن الظن بالله!، كذبوا، لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل»(٢). قال فُضَيْلُ بْنُ عِياضٍ لِرَجُلٍ: كَمْ أَتَتْ عَلَيْكَ، قالَ :سِتُّونَ سَنَةً، قالَ: فَأَنْتَ مُنْذُ سِتِّينَ سَنَةً تَسِيرُ إلى رَبِّكَ تُوشِكُ أنْ تَبْلُغَ، فَقالَ الرَّجُلُ: يا أبا عَلِيٍّ إنّا لِلَّهِ وإنّا إلَيْهِ راجِعُونَ، قالَ لَهُ الفُضَيْلُ: تَعْلَمُ ما تَقُولُ، قالَ الرَّجُلُ: قُلْتُ إنّا لِلَّهِ وإنّا إلَيْهِ راجِعُونَ.

(١) أخرجه مسلم (١١٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٣٥٣).

قالَ الفُضَيْلُ تَعْلَمُ ما تَفْسِيرُهُ؟ قالَ الرَّجُلُ: فَسِّرْهُ لَنا يا أبا عَلِيٍّ، قالَ: قَوْلُكَ إنّا لِلَّهُ، تَقُولُ: أنا لِلَّهِ عَبْدٌ، وأنا إلى اللهِ راجِعٌ، فَمَن عَلِمَ أنَّهُ عَبْدُ اللهِ وأنَّهُ إلَيْهِ راجِعٌ، فَلْيَعْلَمْ بِأنَّهُ مَوْقُوفٌ، ومَن عَلِمَ بِأنَّهُ مَوْقُوفٌ فَلْيَعْلَمْ بِأنَّهُ مَسْئُولٌ ومَن عَلِمَ أنَّهُ مَسْئُولٌ فَلْيُعِدَّ لِلسُّؤالَ جَوابًا، فَقالَ الرَّجُلُ: فَما الحِيلَةُ قالَ: يَسِيرَةٌ، قالَ: ما هِيَ قالَ: تُحْسِنُ فِيما بَقِيَ يُغْفَرُ لَكَ ما مَضى وما بَقِيَ، فَإنَّكَ إنْ أسَأْتَ فِيما بَقِيَ أُخِذْتَ بِما مَضى وما بَقِيَ[1]"

نسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح، وأن يوفقنا وإياكم لشكر هذه النعم والاعتراف بها لمسديها سبحانه، وأن يوفقنا وإياكم لكل خير، ويعيننا وإياكم على طاعته ومرضاته، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّ اللهم وسلّم وبارك على عبدك ونبيك محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٨/ ١١٣ — أبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠).

## حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية

**ليصلكم جديد شبكة بينونة، يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:**

① 【 تويتر Twitter 】

https://twitter.com/BaynoonaNet

② 【 تيليجرام Telegram 】

https://telegram.me/baynoonanet

③ 【 فيسبوك Facebook 】

https://m.facebook.com/baynoonanetuae/

④ 【 انستقرام Instagram 】

https://instagram.com/baynoonanet

⑤ 【 واتساب WhatsApp 】

احفظ الرقم التالي في هاتفك

☏ https://api.whatsapp.com/send?phone=٩٧١٥٥٥٤٠٩١٩١

أرسل كلمة "اشتراك"

تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك

(( لن تتمكن من استقبال الرسائل ))

⑥ 【 تطبيق الإذاعة 】

لأجهزة الأيفون

https://appsto.re/sa/gpi٥eb.i

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/nJrA٩j

⑦ 【 يوتيوب Youtube 】

https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE

⑧ 【 تمبلر Tumblr 】

https://baynoonanet.tumblr.com/

⑨ 【 بلوجر Blogger 】

https://baynoonanet.blogspot.com/

⑩ 【 فليكر Flickr 】

https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/

⑪ 【 لعبة كنوز العلم 】

لأجهزة الأيفون

https://goo.gl/Q٨M٧A٨

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/vHJbem

【 في كي Vk 】

https://vk.com/baynoonanet

【 لينكدان Linkedin 】

https://www.linkedin.com/in/شبكة-بينونة-للعلوم-الشرعية-

٦٦٩٣٩٢١٧١

【 ريديت Reddit 】

https://www.reddit.com/user/Baynoonanet

【 تشينو chaino 】

https://www.chaino.com/profile?id=٥ba٣٣e٠c٧٧٢b٢٣d٥b

b٧daf٠a

【 بنترست Pinterest 】

https://www.pinterest.com/baynoonanet/

【 سناب شات Snapcha 】

https://www.snapchat.com/add/baynoonanet

【 تطبيق المكتبة 】

لأجهزة الأيفون

https://apple.co/٣٣uUnQr

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/WNbvqL

【 تطبيق الموقع 】

لأجهزة الأيفون

https://apple.co/٢Zvk٨OS

لأجهزة الأندرويد

https://bit.ly/٣fFoxWe

【 البريد الإلكتروني 】

info@baynoona.net

【 الموقع الرسمي 】

http://www.baynoona.net/ar/






شبكة بينونة للعلوم الشرعية